

- ٦٣ -

الاستعارة وفي التخيل وتشبيه التمثيل والمعاظلة وما إليها . ويظهر في كل ذلك ميلهم إلى القصد في المجاز ، وبيان أن غايته هي الحقيقة ، ثم الكشف عن صور الحجج العقلية وعلاقتها المنطقية ، وهذا وجه شبه يجمع بين قدامى نقاد العرب والكلاسيكيين لتأثرهما كليهما بأرسطو مع تأويل بعثوا به قليلاً أو كثيراً من أصله .

ومع ذلك نرى أن نوجز القول في آراء الكلاسيكيين في الخيال والصورة ووظيفة اللغة تجاههما ، وما كان لذلك من أثر في الشعر ، لأن المذهب الكلاسيكي هو المذهب الذي قامت الرومانتيكية على أنقاضه .

ولقد عنى الكلاسيكيون بدراسة المعرفة في حلتها ، وفيها تعرضوا للصورة وعلاقتها بالشئ من جهة ، ثم بالفكر من جهة ثانية . والصورة عندهم شئ مادي - وفي هذا خلط منهم بين الوعي المتعلق بالصورة والوعي بالشئ . وقد أشرنا إلى الفرق بينهما فيما سبق . والصورة مادية عندهم لأنها نتاج تأثير الأشياء الخارجية على حواسنا . فالانطباعات المادية التي تنتج في الدهن عن طريق الحواس هي سبب الوعي . وتبدو تلك الانطباعات بمثابة علامات تشر في النفس بعض المشاعر ، وليست هذه المشاعر سوى فرصة لتكوين الأفكار بوساطة الذاكرة وتدهي المعاني . ولسكن الأفكار نفسها طبيعية فينا وليس مصدرها المباشر هو الصورة ، بل الإدراك ؛ لأن الصورة مادية . وعالم الأفكار عندهم متميز كل التميز عن عالم المادة . فالخيال - وهو المعرفة عن طريق الصور - يتميز في جوهره عن الإدراك . ذلك أن الخيال يمثل نوعاً من المعرفة في أدنى درجاتها ، وليست الصورة التي تنتج عنه سوى فكرة مضطربة ، لا يمكن أن تؤدي بذاتها إلى الفكرة الصحيحة . فعالم الخيال هو عالم المعارف الزائفة الناقصة . حقا يمكن أن ينتقل المرء من الصورة إلى الفكرة الصحيحة ، بالترقي في اكتناه عدة صور بعد جمعها وتنظيمها واستخلاص الفكرة من مجموعها ، ولسكن ذلك لا يكون إلا بالإدراك ، وهو أرق من الخيال ، وهو وحده خاصة الإنسان . وعالم الخيال آلى تتدهي فيه الصور بطريق آلى ؛ أما حقائق العقل فيينا روابط ضرورية ، وهذه الحقائق وحدها هي الواضحة المتميزة المعتسدها . وللإفادة من المشاعر التي تولدها فينا